

الدعاء في القرآن الكريم

د. طه جسام محمد العزاوي

كلية اليرموك / جامعة ديالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة..

الحمد لله الذي امرنا بالدعاء ، وتكفل باستجابة النداء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجيننا يوم اللقاء ، واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الانبياء . ان الدعاء من اصل العبادات ، وهو خلق الانبياء والمرسلين وبه يؤكد العبد عيوديته تجاه الخالق العظيم ، لذلك فهو سلوة المؤمنين ، وتسبيح العارفين ، وصلة العابدين وصفاء المؤمنين ، فهو عبادة دائمة موصولة تزداد بازدياد الازمات وحصول العسر فلا يلجأ العبد الا لخالقه لكشف ما يعانیه ، فلا بد لنا من اللجوء الى الجبار ليدمر المتجبرين ، ويكشف بلاء المعتدين ، ولأجل ان استطلع مادة موضوعي ، فقد قلبت المصادر لاجمع مادتي العلمية والنقط منها درر لعلني اصوغ منها ما يشفي غليلي ، ويكون في الحياة قليل فيسر الله لي ما جمعت . اما المصادر التي اعتمدها فشملت القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه وبعض الدراسات الحديثة .

وقد كانت جولتي العلمية في هذا المضمار مفيدة وشيقة فلا اجمل من وقت تأنس به كتاب ينقلك الى عالم يطمئن النفس ويزيدها ثقة ويرفعها مكانة اسأله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وان ينفع به المسلمين انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

معنى الدعاء ..

١- الدعاء لغة :

مصدر دعوة الله (دعوه دعاء دعوي) اني ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنه من الخير . وهو بمعنى النداء يقال : دعا الرجال دعواً ودعاء الي : ناداه ودعوت فلاناً صحة به واستدعيته ، ودعوت زيداً ناديته وطلبت اقباله ودعاً المؤذن الناس الى الصلاة فهو داعي الله . والجمع : دعاة وداعون . ودعاء يدعوه دعاء دعوى الي : رغبت اليه ، ودعا زيداً : استعانه ، ودعا الى الامر ساقه اليه . (١)

٢- الدعاء في الاصلاح :

(الكلام الانشائي والادال على الطلب مع الخضوع ويسمى ايضاً السؤال) (٢) وهو عبادة رتب الله عز وجل عليها جميل الاجر وجيليل المثوبة وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (ان الدعاء هو العبادة) (٣) وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة) (٤) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء) (٥) .

يجب ان يتوقع المسلم بأن التوجه للدعاء توفيق من الله عز وجل والاستجابة فضل اخر (وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : انا لا احمل هم الاجابة وانما احمل هم الدعاء ، فأذا اللهمم الدعاء كانت الاجابة معه : وهي كلمة القلب العارف الذي يدرك ان الله حين يقدر الاستجابة يقدر معها الدعاء ، فهما حين يوفق الله متوافقان متطابقان) .

وقد ذكر البخاري في صحيحه وهو يعرض قول الله جل جلاله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (غافر : ٦٠) لكل نبي دعوة مستجابة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة يدعو بها واريد ان اختبىء دعوتي شفاعة لامتي في الآخرة) .

ورود الدعاء في القرآن بمعاني اخرى ..

أ- الاستعانة : كما في قوله تعالى (قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله وانتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنتسبون ما تشكرون) (١) .
ب- العبادة : كما في قوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) (الاعراف : من الآية ١٩٤) وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) (الكهف : من الآية ٢٨) ، وقوله تعالى (لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) (الكهف : من الآية ١٤) فالدعاء عبادة والاجابة القبول قبل دعاء الابتهاال اليه تعالى) .

ت- النداء : ومنه قوله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده) (الاسراء : من الآية ٥٢) وقوله تعالى عز وجل (قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) (القصص : من الآية ٢٥) .
ث- التمني : كما في قوله تعالى : (واما من اوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا) (الانشقاق : ١٠-١١) أي يتمنى هلاكاً (أي يدعو خساراً وهلاكاً) (٢)

ج- العزيمة : كما في قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فأدخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) (الاحزاب : من الآية ٥٣) كان نزول هذه الآية وقت عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم . بزینب بنت جحش التي تولى الله تزويجها بنفسه .

ح- التسمية : كما في قوله سبحانه : (والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (الاعراف : ١٨٠) (وقال صلى الله عليه وسلم : لله تسعة وتسعون اسماً مائة الا واحد لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يجب الوتر) (٣) أي فسموه بها او نادوه بها . او ادعوه بها .

خ- الارشاد : كما في قوله تعالى : (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابداً) (الكهف : من الآية ٥٧) أي ترشدهم وتدلهم الى سبيل المستقيم والطريق الحق فلن يسترشدوا .

د- النسبة : قال تعالى : (ادعوهم لا بائهم هو اقسط عند الله لم تعلموا ابائهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) (الاحزاب : من الآية ٥) أي انسبوا الذين تبنيتموهم الى ابائهم الحقيقيين (كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبني زيد حارثة قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فاراد الله ان يقطع هذا اللاحق وهذه النسبة) (١) .

ذ- الطلب والسؤال من الله : وهو المراد هنا كما اسلفنا وكما في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) (البقرة : من الاية ١٨٦) وقوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) (غافر : من الاية ٦٠) .

الفاض ذات صلة بالدعاء .

أ- الاستغفار :

(والاستغفار في اللغة طلب المغفرة بالقول والفعل وفي اصطلاح الفقهاء ايضاً يستعمل في ذلك المعنى ، والمغفرة في الاصل الستر ، والمراد طلب التجاوز عن الذنب فالمستغفر يطلب من الله تعالى المغفرة ، أي عدم الماخذة بالذنب والتجاوز عنه) (١) قال تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) (ال عمران : من الاية ١٣٥) والنسبة بين الاستغفار والدعاء العموم والخصوص المطلق ، فكل دعاء استغفار ، وليس كل دعاء استغفار .
ب- الذكر :

(وهو التلطف بالشيء واحضاره بالذهن بحيث لا يغيب عنه) (٢) وذكر الله بالمعنى الاعم والاشمل بالدعاء وغيره وبالمعنى الاخص الذي هو تمجيد الله وتقديسه وذكر اسمائه الحسنی وصفاته العلیا مباین للدعاء وقال تعالى (...واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) (ال عمران : من الاية ٤١) وقال الامام الغزالي (الذكر عبادة ودعاء وليس بعد كتاب الله عبادة تؤدي باللسان افضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى) (٣).

ج- الدعاء يمكن ان يكون صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين :
اذ قال عز وجل (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) (٤) . والمراد في الاية هو الدعاء ، اذ امر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ان يدعو لمن ياتي بالزكاة (ففي صحيح البخاري من حديث ابي اوفى قال : كان اذا اتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة قال : اللهم صل عليه فاته ابي بصدقة فقال : اللهم صل على آل ابي اوفى) أي انزل رحمتك عليهم .

حكم الدعاء ومشروعيته وحكم تاركه .

ارشد تبارك وتعالى عباده الى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم واخراهم فقال : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) (الاعراف : ٥٥) ، أي ادعوه تذلاً واستكانة لطاعته وخفية بخشوع قلوبهم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهازة مرأاة (وقال عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن : ان كان الرجل قد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وان كان الرجل قد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواماً ما كان على الارض من عمل يقدر ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدأ ، لقد كان الملمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همساً بينهم وبين ربهم) (١) . لقد ثبتت مشروعية الدعاء في الكتاب والسنة المطهرة والاجماع وسأبين ذلك في النقاط التالية ...

١- ادلة مشروعية الدعاء في الكتاب :

وردت في القرآن الكريم آيات متعددة تؤكد وجوب الدعاء وبين فضله واهميته ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) (الاعراف : ٥٥) وقال تعالى (وادعوه خوفا وطمعاً ان رحمت الله قريب من المحسنين) (الاعراف : من الآية ٥٦) وقال تعالى (قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او اتاكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين) (الانعام : ٤٠) .

٢- اما في السنة المطهرة :

فقد وردت احاديث كثيرة وتحت المسلمين على اللجوء الى الله سبحانه وتعالى وتبين لهم قيمة الدعاء وفضيلته ومنزلته بين العبادات وقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وقل ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (غافر : ٦٠) وعن ابي هريرة رضي الله عنه : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) : قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء (٢) .

حكم ترك الدعاء .

قال تعالى : (وقل ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (غافر : ٦٠) ، ان الله تبارك وتعالى من كرمه وفضله ندب عباده الى دعائه وتكفل نعم بالاجابة ومن لم يسأل يغضب عليه ، قال رسول صلى الله عليه وسلم (انه من لم يسأل الله يغضب عليه) (١) ، وبهذا يصبح تارك الدعاء مغضوباً عليه من الله تبارك وتعالى وبذلك يكون مصيره النار وبئس القرار . (واما ترك العبادات غير المكتوبة ومنها الدعاء فمكروه لان القواعد العامة في الاصول ان ترك المندوب مكروه في ذلك ولنا في رسول الله اسوة حسنة ، فان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع توكله التام على الله تعالى ، يامر الناس بالدعاء امتثالاً لامر الله تعالى حيث امرنا بالدعاء والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) هو المقتدى به في كل الامور والاعمال (٢) وقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (الاحزاب: ٢١) .

فائدة الدعاء وتأثيره .

للدعاء فوائد جمة وتأثير فاعل في مسيرة العبد وعلاقته بخالقه العظيم وساتكم عنها في
المطلبين الاتيين :

أ- فوائد الدعاء .

- ١- جلب خير او دفع شر او رفعه ان شاء الله تعالى ذلك ، والدليل ما حدث لسيدنا يونس عليه السلام (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * فاستجاب له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (الانبياء: ٨٧-٨٨) وقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) (وما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سأل او كف عنه من سوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم) (١) .
 - ٢- انه عبادة كما بينا ويكتب للعبد في سجل حسناته وعبادته ويثاب عليه يوم القيامة عند الله تعالى ان شاء .
 - ٣- لا ترد يد مدت الى الله فترجع خائبة بدليل ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ان الله يستحي ان يبسط العبد يديه يسأله فيها خيراً فيردها خائبتين) (٢) .
 - ٤- تحقيق النصر على الاعداء ، وكان من جمل اسباب النصر في معركة بدر دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) (اللهم انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد واخذ ابو بكر بيده فقال: حسبك فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر) (٣)
 - ٥- رد كيد الاعداء كما جاء في دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاحزاب فقال : (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم) (٤) .
- ب- تأثير الدعاء .

للدعاء تأثير فاعل على الانسان وعلى ما يقدم عليه من الاعمال ولا سيما ان تسليح سلاح الدعاء وكان نطق لسانه وعبادته المستمر فهو يغسل الارداق ويزيل ما ران على القلب من غشاوات الغلظة والجفاف ويصل الخلق ويرجع المرء الى خطيرة الانسانية الحقبة والى البشرية المثالية قال الله عز وجل (فانكروني انكروني واشكروا لي ولا تكفرون) (البقرة : ١٥٢) وفيه طمأنينة نفسية تعفي على ترسب في الاعماق من اهتزاز عواطف او جموع احساسيس ، وتدفع الى الصفاء الداخلي والراحة والوجدانية والهدوء القلبي (١) .

المصادر ...

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن منظور - لسان العرب المحيط - دار العرب - بيروت .
- ٣- تفسير القرآن العظيم للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار المعرفة - بيروت ١٩٦٩ م .
- ٤- في ظلال القرآن الكريم لسيد قطب - دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٩٧١ م .
- ٥- صحيح البخاري - للعلامة ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري - دار الفكر - بيروت ١٩٨٦ .
- ٦- محمد الشيخ بالاساني حسن الكلام في احكام الصلاة على خير الانام - دار الحرية بغداد ١٩٩٠ .
- ٧- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي للامام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري .

- ٨- احياء علوم الدين للامام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي - دار المعرفة بيروت .
- ٩- العبادة في الاسلام - يوسف القرضاوي - بيروت - ١٩٧٣ م .
- ١٠- الموسوعة الفقهية - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - الكويت - ١٩٨٩ م .
- (١) لسان العرب ٩٨٧/١ ، البستان : ٧٧١/١ .
- (٢) الموسوعة الفقهية : ٢٥٦/٢٠ .
- (٣) ٥-٤ جامع الترمذي ١١/١٠/٩ .
- (٤) في ضلال القران : ١٩٧/٧ .
- (٥) صحيح البخاري ١٩٨/٤ .
- (١) سورة الانعام : ٤٠-٤١ .
- (٢) سورة الاحزاب : ٥٣ .
- (٣) صحيح البخاري : ١١٥/٤ .
- (١) سورة الانعام : ٤٠-٤١ .
- (٢) سورة الاحزاب : ٥٣ .
- (٣) صحيح البخاري : ١١٥/٤ .
- (١) تفسير القران العظيم : ٤٦٥/٣ .
- (١) الموسوعة الفقهية : ٢٥٧/٢٠ .
- (٢) الموسوعة الفقهية : ٢٥٧/٢٠ .
- (٣) احياء علوم الدين : ٢٩٤/١ .
- (١) تفسير القران العظيم : ٢٢١/٢ .
- (٢) المصدر نفسه : ٣١٠/٩ .
- (١) جامع الترمذي : ٣١٣/٩ .
- (٢) القول المعطاة في احكام الدعاء : ١١ .
- (١) جامع الترمذي : ٢٢٣/٩ .
- (٢) جامع الترمذي : ٥٤٤/٩ .
- (٣) صحيح البخاري : ٣/٤ .
- (٤) صحيح البخاري : ٣٣/٣ .
- (١) العبادة في الاسلام : ١١٢ .